

المشروع الحضارى الإسلامى (*)

فهمى هويدى

د. حماد عمار :

فى هذه الليلة المباركة نبدأ ندوتنا بسم الله الرحمن الرحيم ،
ونرحب بأسم رابطة التربية الحديثة وبأسمكم بضيفنا الكبير وأستاذنا
العزيز الأستاذ فهمى هويدى ، وما أظنكم فى حاجة منى لأن أعرّفكم به
وانما أريد أن أعرّفكم بما وقر فى عقلى ووجدانى من تقدير للأستاذ فهمى
هويدى فأنا دائماً أعتبره كاتباً ومفكراً مجتهداً وأريد أن أشدد على كلمة
مجتهد ، فهو مجتهد المعنيين :

الأول : أنه كاتب مفكر يحيط بالقضية التى يريد أن يطرحها ،
يحيط بها احاطة من مختلف الجوانب ، يوثقها ويوصلها ويبحث فى
ذلك ويجتهد .

والمعنى الثانى بالنسبة لاجتهاد أستاذنا فهمى هويدى ، هو أنه
مفكر يفتح أمام قارئه آفاقاً جديدة ومسارات جديدة ، وفى هذا الفتح
يكشف كثيراً من زيف الواقع ، ومثل هذا الاجتهاد فى الواقع هو تحدى
لكل مفكر وهو الذى ينبغى أن نسعى جميعاً لأن نحاول أن نشق طريق
هذا الاجتهاد ، ولا أخفى أن هذا النوع من الاجتهاد مطلوب جداً فى
مجالنا « مجال التربية » .

وعلاقتى بالأستاذ فهمى هويدى تعود الى أوائل الخمسينات ٥٣/
١٩٥٤ حين كان فى هذا الوقت صحفياً وكنت فى ذلك الوقت قد عدت
من إنجلترا ، وقد كتبت رسالة عن القرية المصرية ، وكان فى ذلك الوقت
موضوع تطوير القرية وإصلاحها من القضايا التى تشغل الفكر والسياسة
العامة فى مصر فأتصل بى من الأهرام ...

(*) ندوة رابطة التربية الحديثة الجمعة ٢٤/٢/١٩٩٥ .

وأذكر أن اتحاد المصورين قد أخذوا صورتي ، فظهرت صورتي في الأهرام لأول مرة بطبيعة الحال وأن رسالتي سوف توضع تحت الصورة ، وسررت بالتحقيق الذي اجراه الأستاذ فهمى هويدى . ومنذ ذلك الوقت وأتصل حبل المودة بيننا وتابعت الأستاذ فهمى هويدى باجتهاداته .

وبطبيعة الحال المجتهد قد يتفق معه اتفاقا كليا وقد نتفق معه اتفاقا جزئيا ، وقد نتفق فى بعض الحالات ونختلف فى البعض الآخر وقد نتفق معه أحيانا ونختلف معه أحيانا أخرى ، فلاجتهاد علامة مميزة للأستاذ فهمى هويدى ، وسوف يعرض لنا فى هذه الأهمية رؤيته لمشروع حضارى لمصر وللأمة العربية وقد يمتد الى أقطار العالم الاسلامى .

وكما تعلمون حضراتكم نحن نعيش فى حقبة زمنية مهزومة ومخنوقة ، فمسيرنا وهويتنا فى حالة من الرجرجة والقلق وسنظل فى حاجة ماسة الى أن نستمع الى مفكرينا وتوجهاتهم المختلفة .

وأذكر فى سياق التصور المهزوم لواقعنا حديث شريف ينطبق على هذا الواقع الذى نعايشه وهو يقول ما معناه .

« توشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على أصحابها لا من قلة يومئذ بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غباء ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة » .

وإذا كان لحديث الرسول ﷺ مغازيه ورموزه الدينية فان له فى نفس الوقت رموزه ومغازيه الدنياوية التى نكابدّها من كل ما يتجمل بحب الدنيا الذى ينجم عنه كل ما نعانيه من قهر وفساد وتكالب الأمم علينا وفقدان المهابة منا حتى أصدقاءنا بل أكاد أقول حتى أشقاءنا ، ففى هذا السياق والموضوع لا اريد أن اطيل على حضراتكم وانما سوف أترك الميكرفون للكاتب الكبير الصديق العزيز الأستاذ فهمى هويدى .

فهمى هويدى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أيها الأخوة والأخوات شكرا لكم جميعا وشكرا لأستاذى وأخى الكبير الأستاذ الدكتور «عمار» الذى قدمنى بأكثر

مما استحق ، وطوف بي وبكم فى عقود أربعة مضت ، ثم امتعنا بما تمنيت أن يكمله ، ولكن أما وقد أحال لى الكلمة فأننى أود أن أقول فى هذا الموضوع الذى نحن بصدده « المشروع الحضارى الاسلامى » ، أننى عندما أتصل بى أخى الأستاذ الدكتور سعيد اسماعيل ليدعونى الى هذا اللقاء الذى أتشرف به ، كنا نتداول فيما يمكن أن يطرح للمناقشة . كنت أنا صاحب الاقتراح الذى يدعو الى مناقشة المشروع الحضارى الاسلامى ليس لأن عندى ما أريد أن أقوله فقط ولكن بالدقة لأن عندى ما أريد أن أصوبه وأناقشه مع نخبة كتلك التى نلتصق معها هذه الليلة ، لأن قضية المشروع ستظل احدى الهواجس الأساسية التى تشغل فكرنا فى هذه المرحلة التى غابت منها أشياء كثيرة ، حتى أننى وصفتها فى عدة مرات بأنها مرحلة « اللامشروع » حيث ليس معروفا بالضبط نحن مع ماذا ؟ أو ضد ماذا ؟ وفى أشياء من الأشياء الصغيرة الى الأشياء الكبيرة فى حياتنا الثقافية والسياسية .

أظن أنى لست بحاجة الى أن استدعى انتباه حضراتكم الى أن كل أمة وكل مجتمع لابد أن يكون له مشروع ، بمعنى رؤية استراتيجية - نموذج حضارى يريد أن يستلهمه ويفتدى به ويحقق له طموحاته ، ولا أحد يستطيع أن يصوغ مشروعا حضاريا . هذه مسألة تفوق طاقة الانسان يستطيع الواحد أن يكتب عن المشروع ، لكن مشروع الأمة هو أن يستلهم ضميرها وتراثها وخبراتها وثقافتها واسهامات مثقفها ، ثم هذا كله فى نهاية المطاف يتبلور برؤية تظل معبرة عن الضمير والطموح ، ومن ثم لا يستطيع أن أصف ما عندى بأنه كلام حول مشروع حضارى بقدر ما هو كلام منصب على خصائص المشروع وهى بكل تأكيد قابلة للمناقشة أو ينبغى أن تكون قابلة للمناقشة .

إذا أردنا أن نعرف المشروع الاسلامى الذى أريد أن نناقشه مع حضراتكم ، هو باختصار يظل مشروعا للنهضة له مرجعيته التى تستلهم قيم الاسلام ومقاصده كما هى مقررة فى الكتاب والسنة وينطلق من الضمير الايمانى للأمة لينتهى محققا سعادة الناس جميعا باختلاف ديانتهم ، وانطلاقا من هذه المرجعية يكون هدف المشروع هو تحقيق السعادة للناس

وتحقيق العمران للأرض ، والآية القرآنية التي تقول « قد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » الذى هو العدل الذى تقوم به الأرض ، كل الرسل وكل الكتب جوهر الكتاب السماوى هو إقامة العدل ، كيف يمكن أن يتحقق هذا ؟

أنا أقول أن العناصر التى يمكن أن تدور حول هذا المحور الأساسى فيما يمكن أن يسمى بالمشروع تنطلق من أو يمكن حصرها لا أقول حصرها بدقة بل ترتيبها فى حوالى ١٥ نقطة ، أنا أيضا بأدعو للتفكير فيها باعتبارها مواصفات لمشروع نهضة لهذه الأمة .

النقطة الأولى : أنه مشروع توحيدى ، يؤمن بأن الله خالق الكون ، وأن كل المخلوقات من الكائنات لها حقوق ، وأن هذه الكائنات تتعبد لله وتسبح له ، معنى أن نتكلم على حقوق الانسان عندما أقول لبعض الباحثين الغربيين أننا عندنا شيء اسمه الحيوان والحيوان له حق والاحاديث النبوية التى تحدثت عنه : امرأة دخلت النار فى قطة عذبتها ، وأن بغية غفر لها لأنها سقت كلبا ، وأن وأن ٠٠٠٠ وأن خليفة المسلمين عندما يرسل الى والى مصر يلفت نظره الى أن الدواب تحمل فوق طاقتها فهو لم يكن يدافع عن الدواب ، ولكنه كان يستشعر مسئوليته تجاه كائنات ، الشجر له حقوق والبيئة ، سيدنا أبو بكر ينهى جيش المسلمين عن اقتلاع الشجر ، هذه كائنات ، الاحاديث النبوية ، أن عصفورا يشكو الناس ، يشكو رجلا يوم القيامة لأنه عذبه ، اذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، لا يرى الانسان وحيدا فى الكون ، ولكنه يرى الكون كله باعتباره مخلوقا لله تعالى بكل مكوناته وعناصره ، وهذه العناصر والمكونات لها حقوق واجبة الاحترام ، الرؤية التوحيدية للكون .

النقطة الثانية : أن الدين ليس معزولا عن الحياة ولكنه داخل فى نسيج الحياة كلها ، فى كل شيء تتواجد قيم الدين عندما يقال أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، هنا عبادة وسلوك ، ولا تأكلوا أموال الناس بالباطل ، فكرة أن قيم الدين حاکمة لمختلف نواحي الحياة وموجودة ويسترشد بها الناس حيث يتحركون .

النقطة الثالثة : أن الانسان فى هذا المشروع مخلوق مكلف « أفحسبتم أنا خلقناكم عبثا . وأنكم الينا لاترجعون» فهو مخلوق مكلفه رسالة مختلفة عن هدف المتعة والأستمتاع . نعم هو يستمتع بالحلال ، ولكن يظل الهدف أبعد من هذا بكثير ، وبالتالي كونه مخلوقا مكلفا وله رسالة ومستخلفا عن الله سبحانه وتعالى فى الأرض ، فهو فى هذا المقام عليه واجب اعمار الأرض ، أن الله عندما خلق الناس واستخلفهم فى الأرض سخر لهم الكون السماء والأرض ، فيه شىء له مقام رفيع ، وفكرة أن الانسان هو مخلوق الله المختار مختلفة عن فكرة شعب الله المختار ، أن الله سبحانه وتعالى خلقه وكرمه ونفخ فيه من روحه وعدله وسواه، حتى الشيخ الغزالى عندما يتكلم عن الانسان يقول : فيه نسب الهى، ولا تخلو هذه الاشارة من دقة و صواب لانه هنا كائن له مقامه الكبير عند الله سبحانه وتعالى .

وهذا ينقلنا الى **النقطة الرابعة :** وهى أن الانسان له كرامته ، ولقد كرمتنا بنى آدم لمجرد كونه انسانا بصرف النظر عن دينه . ثم النقطة الخامسة أن البشر كلهم أسرة واحدة خلقوا من نفس واحدة وأن آباهم واحد ، فيه هنا وشيجة انسانية تربط الجنس البشرى ، فعلاقة الانسان بالانسان فيها وشيجة قائمة لا يمكن هتكها أو الاعتداء عليها .

فى هذا الاطار **النقطة السادسة :** أن الاختلاف بين الناس هو سنة من سنن الله تعالى ، سبحانه الله أراد الناس مختلفين لحكمة قدرها ، ومن ثم فالاختلاف له بعد عقيدى وفكر الآخر وبما يثار حولها من جدل ولغط لا أحسبها واردة فى مفهوم العقيدة ، لأن الآخر عندما أدرك أنا أنه يختلف عنى فى كل شىء أو فى شىء هو من حكم الله أو سنة من سنن الكون فهذا ينزع عن نفسى كثيرا من الحساسية التى يستشعرها كثيرون الاية « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . ولا يزالون مختلفين . ولو شاء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميعا . ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» أنا زعلان ليه ؟ الله أراد أن يختلف الآخرون «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » هذه الايات الشهيرة .

النقطة السابعة : أن الآخر له شرعيته ، وهى متصلة بالنقطة السابقة ، اذا كان الاختلاف هو سنة من سنن الله ، يكون للآخر

شرعيته ولا بد أن يصوغ الواقع أو الاطار السياسى والفكرى ، كيفية تنظيم العلاقة باعتبار أنه لا يستنكر الآخر لمجرد المغايرة .

النقطة الثامنة : أن الحقوق والواجبات لها عمق عقيدى ، بمعنى عندما نتحدث عن حقوق الانسان من وجهة النظر الایمانية هى فى حقيقة الأمر تكاليف وهى من حقوق الله سبحانه وتعالى . طبعاً مصطلح جديد . حقوق الانسان فى القرن الثامن عشر ، لكن فقهاء زمان كانوا يقولون حقوق الله ، حقوق العباد كل ما أتصل بحقوق مجموع المسلمين أو من حقوق الأمة هو من حقوق الله ، حقوق الأفراد وبتختلف ، ومن هنا فالحقوق لها بعد عقيدى تتحول فى وجه الآخر الى تكاليف وواجبات .

النقطة التاسعة : أن الاسلام فى المشروع ليس ديناً فقط ، لكنه ثقافة وحضارة ، ولهذا أنا أحياناً أتردد فى القول مشروع اسلامى خشية أن يفهم البعض أنه شأن يخص المسلمين وحدهم . والذين يتابعون ما اكتب ربما يتذكرون أننى تحدثت فى هذه النقطة . قبل أسابيع أشرت فى مقال حول . . . الدين الحضارى أن الأمر هو عقيدة بالنسبة للمسلمين أما بالنسبة للآخرين فهو ثقافة وحضارة ووعاء للقيم ، ومن هنا فالأمر لا يخص المسلمين وحدهم ولا يخص المتدينين وحدهم ، الصحيفة التى حررها النبى عند هجرته من مكة الى المدينة كانت صحيفة يعتبرها بعض الكتاب أنها أول دستور تمت صياغته . وثيقة تحدد علاقة المسلمين بالمشركين وباليهود وبالنصارى ، كان اليهود أكثر فى ذلك الحين ، لكن كل من تواجد فى المجتمع كان طرفاً فى هذه الوثيقة فالأمر يتجاوز حدود العقيدة الى حدود الثقافة والحضارة .

النقطة العاشرة : أنه بناء على فهم الاسلام باعتباره مشروعاً حضارياً وثقافياً للمسلمين والأمة ، ليست هناك مفاضلة بين الناس على أساس الدين ولكن معيار المفاضلة هو العمل الصالح والتقوى .

النقطة الحادية عشر : أن قيم الدين تستلهم فى تسيير المجتمع لكن الحساب على اعتقاد شأنه يتولاه الله والآيات « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر . فان اعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً . أن عليك الا البلاغ » صدق الله العظيم هذه الآيات تحيل الحساب على الاعتقاد

الى الله تعالى وكثيرا ما يحاول بعض أخواننا الذين يثيرون مسألة الاعتقاد ويزجون بها فى كثير من المناسبات اذا كنا نريد أن نحاسب الناس على عقائدهم فى الدنيا فعلى ماذا سيحاسبهم الله يوم القيامة ، اتركوه حساب العقيدة لله سبحانه وتعالى ، ولنحتكم فى الدنيا الى أفعال الناس وآدائهم ، أما ضمائرهم فأمر محال الى الله .

النقطة الثانية عشر: ان الشريعة منفصلة عن السلطة، فهناك أمور فى التكاليف تؤدي فى كل الأحوال لا علاقة لها بالنظام السياسى ، أفصل فى هذه النقطة أنه عندما تكون الشريعة فوق السلطة وفوق القانون يفترض فى هذه الحالة أن القانون يستلهم الشريعة ، يستلهم مقاصده فى نهاية المطاف ، لكن انفصال الشريعة عن السلطة لا يجعل للسلطان اليد الطولى فى ملاحقة كل شىء فى المجتمع ، مثلها الزكاة تؤدي ، السلطة قبلت ما قبلت أم لا ؟ ، فيه تكليف . الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هذا تكليف الهى ليس لأحد أن يتدخل فيه أما أن توضع الأمور فى اطارها الصحيح فهذا موضوع آخر ، أنا أتكلم عن التكليف اذا كان هذه الأمور يستطيع أن يستمر بها المجتمع أيا كان وضع السلطة .

النقطة الثالثة عشر : أن المال مال الله والناس مستخلفون فيه وللجميع فيه حق ، « وانفقوا من مال الله الذى أتاكم . وأتوه من مال الله الذى أتاكم ، وفى أموالكم حق للسائل والمحروم»، فثروة الأمة ليست ملكاً لأحد ولكن الناس ينتفعون بها وما يؤدي هو حقوق الناس وليس تبرعات أو احسان .

النقطة الرابعة عشر : للمجتمع سقف أخلاقى مرتبط بعدد من الفضائل التى تلزم بها الأمة فمارس ما شئت من حرية التعبير والتقدير والتقرير ولكن عندما يتعلق بالأخلاق والفضائل فهذا سقف لا ينبغى أن يترك .

النقطة الأخيرة : هى حق الناس فى مقاومة الظلم . هذه مسألة لا يستطيع أحد أن ينكرها ، لأن هناك نصوصاً قرآنية تحاسب الناس على استسلامهم للظلم فللناس حق فى التصدى للظالم ، وهذا حق مستمد من

الله وليس لأحد أن يصدّه أو يعوقه .

هذه هي المواصفات فأنا أوجزت لأني أريد أن اسمع وجهات النظر لكنى أريد أن اضيف نقطة أخيرة فى فكرة الرؤية الاسلامية فى التطبيق بنقرأ الكثير أن هذه الرؤية تتطلب أن كل ينقلب الى أبيض وأسود فى ٢٤ ساعة وأن الناس سينقلبون وليس هناك تدرج ، التدرج جاء فى التنفيذ وليس فى التشريع ، أنا أريد أن أؤكد أن هناك مجموعة الضوابط .أذكر بها وأنا على يقين من أن بعض الأساتذة على علم بها .